دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العفة في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية
المؤلف الرئيسي:	الزربتلي، فدوى فؤاد محمد
مؤلفين آخرين:	اليازجى، صبحى رشيد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2014
موقع:	غزة
الصفحات:	1 - 212
رقم MD:	694486
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الإسلامية (غزة)
الكلية:	كلية اصول الدين
الدولة:	فلسطين
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	العفة، القيم الإسلامية، القرآن الكريم، التفسير الموضوعي، علوم القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/694486

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الثالث
نماذج من العفيفين والعفيفات في القرآن الكريم

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: نماذج قرآنية للعفيفين من الرجال.

المبحث الثاني: نماذج قرآنية للعفيفات من النساء.

المبحث الأول
نماذج قرآنية للعفيفين من الرجال

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عفة النبي يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: عفة النبي موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: عفة النبي لوط عليه السلام.

المطلب الأول

عفة النبي يوسف عليه السلام

عندما يوصي أحد بالعفة ناصحاً وواعظاً فإن أول النماذج المتبادرة لأذهاننا، هي قصة النبي يوسف عليه السلام في عفته ونزاهته، كيف لا وهي من أحسن القصص، قصة نبي افتقد والده المحب له وهو غلام، ألقي في البئر وظلمته، ثم عاش عبداً عند سيد لا يملك نفسه، نبي كريم مر بأحداث عظام فصبر عليها، تحكي قصته كشابٍ استعلى بإيمانه على شهوته واستعف إرضاءً لله تعالى، ووفاءً لمن آواه، قال فيه تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:24] .

إنها قصة لجميع مراحل حياة النبي يوسف عليه السلام متسلسلة في سورة واحدة هي سورة يوسف سميت باسمه عليه السلام، هي مراحل تحمل في طياتها المحن متتالية من الطفولة حتى دخوله السجن مظلوماً، بدءاً من كيد إخوته له إلى كيد النسوة، هي قصة وُصفت بأنها أحسن القصص، بقوله تعالى في بدايتها في الآية الثالثة منها مخاطباً نبيه محمد ﷺ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ {يوسف:3}.

-إخوة يوسف يتآمرون عليه(المحنة الأولى):

أدرك نبي الله يعقوب عليه السلام ببصيرته أن لولده يوسف عليه السلام شأناً عظيماً، وذلك عندما قص رُؤياه على أبيه، رؤيا ليست من رؤى الصبيان، فقد رأى الشمس والقمر له ساجدين، بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ {يوسف:4}.

فقال يعقوب عليه السلام موصياً ولده ألا يُخبر إخوته بها، فيجد الشيطان سبيلاً في نفوسهم بسبب حقدهم على أخيهم غير الشقيق، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ {يوسف:5}، مبيناً العلة في ذلك إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ[1]

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، 558/15.

من هنا في مرحلة الطفولة ابتدأت محن يوسف بسبب حقد إخوته عليه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ *إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ {يوسف:7-10} لقد كان الحسد والحقد على أخيهم بسبب حُب والدهم له وإيثاره عليهم في حد زعمهم أن يفكروا بالخلاص منه بأي طريقة، حتى لو كان بقتل تلك النفس البريئة، نفس طفل لا يقدر دفع أذاهم عنه، وهم إخوته، ففكروا بطريقة القتل الذي هو من الكبائر بعد الشرك، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ {يوسف:11-14}، فهاهم الآن يبذلون الجهد، بل كل الجهد لإقناع والدهم بذهاب يوسف معهم محاولين التدسس إلى قلب والدهم المتعلق بولده الحبيب بعد تبرير رفضه ذهاب ولده يوسف معهم ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف:13] [(1)].

ذهبوا به ونفذوا مؤامرتهم الشنيعة بحق هذا الطفل البريء والذي لا يعلم ما يدبرونه له ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف:**15**] ، ألقى الله ﷻ في روعه أنه سيعيش ويخبر إخوته بما فعلوه معه، وذلك من تأييده ونصرته لأنبياءه، وذلك أنيسه في غيابة الجب[(2)].

قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۞قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۞ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 1973/4.
(2) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 221/4.

{يوسف:16-18}، وهنا أدرك يعقوب عليه السلام أنهم قد دبروا له مكيدة، وصارحهم بأن نفوسهم قد زينت لهم منكراً، وأنه سيصبر صبراً جميلاً بلا جزع أو ضجر مستعيناً بالله[1].

شاب كانت بداية طفولته كبقية الأطفال عاش في حضن والده محبوباً حراً، ثم ابتلاه الله تعالى بأن وضعه إخوته بالجب ظلماً، وما تعرض له من صنوف المحن والابتلاءات بعد ذلك بالعيش عبداً تحت سلطة غيره في بلدٍ ليست بلده لم يعش فيها من قبل، وليس له فيها اقرباء، وما تعرض له من كيد النسوة لم يكن يبرر لنفسه الاستجابة لمروداة امرأة العزيز أو غيرها من النساء.

- **مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام (المحنة الثانية):**

وتبدأ قصة المحنة الثانية عندما جاءت سيارة أخرجوه من البئر واعتبروه بضاعة فباعوه بدراهم معدودة، ثم بيع لعزيز مصر، وقد تربى عنده حتى صار شاباً، وتعرضه لدعوة امرأة العزيز له لفعل الفاحشة وعفته عن فعل ذلك، قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ {يوسف:23- 30}.

تلك الآيات بمجموعها تؤكد وتُقر ثبات النبي يوسف عليه السلام على خلق العفة والوفاء وقوة الإيمان بالله والرقابة الذاتية الحاضرة في داخله ولو غاب عنه الناس وسيده العزيز، والمراودة صيغة مفاعلة تعني تكرير المحاولة، رغم توفر الدواعي لارتكاب الفاحشة وهي:

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 222/4.

أولا: الدواعي الموجودة حوله:

1. مراودة امرأة العزيز لنبي الله يوسف عليه السلام عن نفسه:

وهذا أسهل في ارتكاب الفاحشة، حيث قال عز وجل: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

"والتعبير عن امرأة العزيز بطريق الموصولية في قوله: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ لقصد ما تؤذن به الصلة من تقرير عصمة يوسف عليه السلام لأن كونه في بيتها من شأنه أن يطوعه لمرادها، وبيتها بيت سكناها الذي تبيت فيه، فمعنى هو في بيتها أنه كان حينئذ في البيت الذي هي به، ويجوز أن يكون المراد بالبيت: المنزل كله، وهو قصر العزيز، ومنه قولهم: ربة البيت، أي زوجة صاحب الدار ويكون معنى هو في بيتها أنه من جملة أتباع ذلك المنزل"(1).

ويتضح الأمر أيضاً من خلال قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ {يوسف:32}، ففي هذه الآية تعترف امرأة العزيز بأنها هي التي قامت بذلك الفعل ابتداءاً.

2. تهيئة أسباب الفاحشة بإغلاق الأبواب:

في قوله تعالى:﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾، تشديد الفعل للمبالغة في إحكام إطباق الأبواب(2).

3. دعوة امرأة العزيز الصريحة لارتكاب الفاحشة:

شجعته على ذلك ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي تعال وهلم وأقبل تلك دعوة واضحة من امرأة العزيز بدعوتها يوسف عليه السلام لمواقعتها، وما تحمله تلك الكلمة من معنىً لإغراءات سبقتها بتهيئة نفسها لذلك والملاطفة بالتزين(3).

4. امرأة العزيز من أصحاب السلطة:

إن التي تطلب منه الوقوع بالفاحشة هي من السلطة الحاكمة في مصر، وكونها بهذه المكانة فيكون المرء بين أمرين إما أن يخاف التهديد له بالسجن أو العذاب، وكلاهما أمر شديد وقوعه على

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 250/12.

(2) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 131/3. التحرير والتنوير، لابن عاشور، 250/12).

(3) انظر: (في ظلال القرآن، سيد قطب، 300/4، التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي، 2/، 1202).

إنسان بريء لم يفعل ما يوجب صدور هذه الأفعال بحقه وهذا ما حدث، أو أن يطمئن بأنها ستحميه من العقوبة، ولن يخاف من ارتكاب المحرم لحماية.

وقد استخدمت ذلك امرأة العزيز عندما خافت أن يُكشف أمرها لزوجها لما هرب يوسف عليه السلام ليخرج من الباب خوفاً من الفتنة، فبادرت إليه وشقت قميصه من الخلف، "وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ"، وعندما وصلا إلى الباب ووجدت زوجها بادرت بالكذب متهمة يوسف عليه السلام بمراودتها –معاذ الله أن يفعل– "قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[1]

وتصل بها الجرأة في لحظة من اللحظات أن تعترف وتصرح بجريمتها، حيث قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ {يوسف:32}، وهنا تصرح امرأة العزيز بفعلها أنها هي التي قامت بفعل المراودة، وتظهر موقفه عليه السلام منها بأنه استعصم أي امتنع، وتصرح أيضاً ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، وهذا تهديد صريح بالسجن إن لم يطاوعها فيما دعته إليه والعقوبة ستكون بالسجن والذل[2].

في ذلك التصريح بالإصرار والتبجح، والإغراء وسط التهديد، ما يدل على أنها تخلت عن حيائها أمام النساء، ورغم ذلك يوسف عليه السلام مستعصم بالله تعالى، متمسك بعفته وطهارته.

ثانياً: الدواعي في شخصه عليه السلام:

1. **حصلت هذه الحادثة لنبي الله يوسف عليه السلام وهو شاب**، وهي أيضاً شابة قد يلتفت مثله إلى المرأة الجميلة.

القرآن الكريم لم يذكر كم كان عُمر كل من سيدنا يوسف عليه السلام وامرأة العزيز، ولكن قدّر المفسرون عمر كلٍ منهما تقديراً، فعندما ألقاه إخوته في الجب كان غلاماً وعُلم ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾{يوسف:19}، والغلام عمره حوالي أربعة عشر عاماً تنقص ولا تزيد، ومن

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: 457.

(2) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 2/490.

المؤكد أن والده النبي يعقوب عليه السلام لم يخف عليه إلا كونه في سن أقل من سن الشباب والفتوة فقال: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ {يوسف:13}، فلم يكن الخوف على ولده عليهما

أما امرأة العزيز فكانت هي وزوجها لم يُرزقا بأولاد ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ...﴾ {يوسف:21}، فقول العزيز ذلك وورود فكرة التبني لم تكن عبثاً إلا لأنه قد مر على زواجه هو وزوجته أعواماً لم يُرزقا خلالها بولد، وربما كان اليأس من إنجابه، وكذلك المنصب الذي يتولاه عزيز مصر فيها لا يتأتى إلا وقد كان عمره على الأقل أربعين سنة، ومن المتوقع أن تكون زوجته في الثلاثين من عمرها آنذاك، بالتالي فإن يوسف عليه السلام عند وقوع الحادثة حوالي الخامسة والعشرين سنة.

وكذلك قول النسوة عن امرأة العزيز معيبين عليها مراودتها فتاها أي عبدها ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ {يوسف:30}، فكلمة "**فَتَاهَا**" لها مدلولها على حقيقة سِن يوسف عليه السلام، وتلك السن هي سن المراهقة[1].

وترى النسوة حولها أنها في ضلال مبين ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ "يعني في خطأ بيّن ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتاها" [2].

وكذلك في قوله تعالى: "**بَلَغ أَشُدَّه**"، أي بلغ منتهى شبابه وشدّته وقوّته ومعرفته وقد استكمل عقله، وفُسر بلوغه ما بين الثلاثين سنة إلى أربعين، أي أنه بذلك قد بلغ مبلغ الرجال، ولم يبلغ هذا إلا في قصر العزيز [3].

2. أنه عليه السلام بالنسبة لمن في القصر عبد:

والعبد مستضعف مملوك لمالكيه، وبإمكانهم إيقاع الأذى به، كيف شاؤوا ومتى شاؤوا، والنفس قد تنصاع لأوامر مالكيها على الأقل خوفاً من الأذى ورغبة في دفعه.

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 299/4.

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، 279/2.

(3) انظر: (التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ص: 730. الكشف والبيان، للثعلبي، 207/5. ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 263/4. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 4/. 378. التحرير والتنوير،لابن عاشور، 248/12).

قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ..﴾ {يوسف:23} "أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر"[1].

3.أنه ﷺ غريب في مصر بعيد عن رقابة الأهل ومن قد يخجل منهم:

فالمرء الذي لا يستحي من الله، قد يستحي من الناس ويخشى الفضيحة بينهم، وفي ذلك نموذج لشاب غابت أعين الناس عنه ورقابة الأهل والأصحاب، ولكن لم تغِب عفته أمام تلك المُغريات في غربته عن الأهل، وذلك مع التصريح بالوعيد من امرأة العزيز إن لم يفعل ما أرادت.

"فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب أعزب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم"[2].

مظاهر ودلائل عفة يوسف – ﷺ–:

أولاً: مراقبة الله ﷻ، والاعتراف بالجميل لأجله

يظهر ذلك في قوله ﷻ: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ {يوسف:23}.

بعد مراودة امرأة العزيز له وتغليق الأبواب وقولها هيت لك كان قوله ﷺ لها "**مَعَاذَ اللهِ**" فهو يدعو الله تعالى مستجيراً لاجئاً إليه من الوقوع بالفاحشة، وهو مصدر تقديره عياذاً بالله، أن أقوم بهذا الفعل القبيح الموجب لسخط الله ﷻ ، وقوله: "**إِنَّهُ رَبِّي**"، وفي ذلك قولان: **الأول** أنّه يقصُد بذلك سيده العزيز أي أحسن منزلته فما أكرمني به يوجب علي احترامه لا أن أقابله في أهله بفعل قبيح وعلى ذلك أكثر المفسرين، **والثاني** أن المقصود بالرب هو الله سبحانه وتعالى أي آواني في هذه الدار بعد نجاتي من الجب ومن بلاء الحب عافاني، "**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُون**": فلا فلاح للمتجاوزين حدود الله ﷻ، وقيل الظالمون أي الزناة[3].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص:456.
(2) المرجع السابق، ص: 457.
(3) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي، ص: 209/5.

وقوله: "إِنَّهُ رَبِّي" في ذلك تذكير إن كانت تفهم منه المعنى الأول فإنها في تلك اللحظة يذكرها بإن لها زوجاً وهو الذي طلب منها أن تكرم مثواه بقوله ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف:21] ، لا أن تؤذي يوسف، ولا أن تخون زوجها في غيابه، وإن كانت تفهم امرأة العزيز من قول يوسف أنه يقصد بقوله: "إِنَّهُ رَبِّي" عن الله ﷻ، فمن الأصل أن يكون لذلك وقع على نفسها وهو تذكيرها بأن الذي يجازي بالإحسان فإنه يعاقب من إساء ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:22]فهو يذكرها بأنه ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ {يوسف:23} (1).

ثانياً: لم يستجب لدعوتها إياه لفعل الفاحشة:

قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ إنه كان هارباً وقُدَّ قميصه من الخلف، فكان ذلك لمّا امتنع عن إجابة امرأة العزيز بعد تغليقها الأبواب ومراودتها له، وتهديدها، ولّى هارباً خارجاً من المكان سعياً للخلاص من الفتنة، فلما تبعته حتى لا يفتح الباب وكان قد سبقها فتعلق بقميصه وجذبته حتى لايخرج فشقته من الخلف.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ أي فوجدت زوجها عند الباب لدى فرار يوسف عليه السلام فخافت وسبقت بالقول وقالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ أي الزنا، لكنها خافت عليه أن يُقتل فبادرت بالقول: ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (2).

ثالثاً: لم يُحدّث أحداً عن السبب في سجنه:

وإنما اكتفى بالاشارة إلى جزء من القصة متسائلاً داعياً للبحث عن السبب للوصول في النهاية لمعرفة الحقيقة والحصول على براءته، وربما تلك هي صورة عدم حبه لإشاعة الفاحشة فهو لقول الفحش وفعله كاره، بخلاف كثير من الناس الذين ما أن يصل إليهم خبر من أحد من الناس قد حدث له أو قام بفعل يسوؤه، إلا ويقوم بنشره بين الناس بتفاصيله التي لا تُصلح أمراً من المشكلة القائمة، بل تعمل على فضح الناس وكشف عيوبهم وذلك مما يؤذيهم ويزعجهم.

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:**50**] ، عندما طلب الرسول الذي

(1) انظر: قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول، للشعراوي.

(2) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 234/4.

أرسله الملك أن يأتي ألى الملك رفض يوسف عليه السلام أن يخرج دونما أن تظهر براءته مما رُمي به في بيت العزيز، فتبرئة الأعراض من التهم الباطلة مقصد شرعي، ولكنه أراد الوصول لذلك بلفت النظر والتنبيه لسبب سجنه بأن يرجع الرسول لسيده ويسأله: ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، ولم يذكر اسم امرأة العزيز صريحاً تأدباً واحتراماً[1].

- ثمرة عفة نبي الله يوسف عليه السلام:

لما دعته امرأت العزيز لارتكاب الفاحشة فما كان منه إلا الصبر على الطاعة وعن فعل المعصية والبقاء على عفته، فصرف الله تعالى عنه السوء والفحشاء ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ** ﴾ {يوسف:24} السوء هو الإثم وخيانة سيده، والفحشاء هي الزنا لأنه مفرط في القبح[2].

وقد عصمه الله تعالى أيضاً من الفتنة بالنسوة فقال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف:33]، بعد ما فعلت امرأة العزيز وما رأى يوسف عليه السلام من محاولة استمالة قلبه من قبل النسوة اللاتي قطعن أيدهن، دعا الله تعالى بأن يصرف عنه كيدهن سواء من دعوته لارتكاب الفاحشة أو استمالة قلبه نحوهن[3].

صبر يوسف عليه السلام على الظلم فكان الفرج والخروج من السجن وليس أي خروج إنما مقرباً من عزيز مصر﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ** ﴾ {يوسف:54}، فبعد أن ظهرت براءة يوسف عليه السلام أرسل الملك إليه ليجعله مقرباً له، لا يشاركه به أحد، فأتوه به مكرماً محترماً، وقد استحق ذلك مما علمه الملك من علمه وحكمته وحسن خلقه، فكان أهلاً عليه السلام لتقريبه منه "فَلَمَّا كَلَّمَهُ" أُعجب الملك بكلامه وما ظهر فيه من الحكمة، وزاد موقعه عنده فقال له: " إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا" أي: عندنا " مَكِينٌ أَمِينٌ " أي ذو رتبة عظيمة، أمين على الأسرار، فقال يوسف عليه السلام طلباً للمصلحة العامة: " اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ" أي: وهنا اقترح يوسف عليه أن يوليه خزائن البلاد ليحفظ أموالها ومصالحها[4].

---

(1) انظر: (معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 495/2. التحرير والتنوير، لابن عاشور، 288/12.).

(2) انظر:(إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 267/4، الكشف والبيان، للثعلبي، 213/5، انوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، 282/3).

(3) انظر: النكت والعيون، للماوردي، 256/2.

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص:463. التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/13).

المطلب الثاني

عفة النبي موسى عليه السلام

نبي الله موسى عليه السلام ولد في عهد الطاغية فرعون الذي عمد إلى قتل المواليد الذكور من بني اسرائيل، فقدّر الله تعالى أن يولد نبي الله موسى عليه السلام في يومٍ يُقتل فيه الذكور ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ {القصص:4}، قال الله تعالى فيه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ {طه:39}، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ {طه:41} أي اخترتك يا موسى لوحيي ولرسالتي[1]، وقد أخلصه الله واختاره للعبادة وتوحيد الله من غير أن يشرك به بعيداً عن الرياء، وأرسله ليبلغ عباده شرائع الله عز وجل[2]، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:51].

وقد تكرر اسم موسى عليه السلام كثيراً في القرآن الكريم، على امتداد قصة ارتبطت بقضية فرعون المتعالي المتألّه، وقومه المستضعفين الذين خذلوه في أكثر من موضع، وذكر الله عز وجل تفاصيل حياته فعُرفت قصة حمل أمه وولادته وتربيته.

وتلك الواقعة التي كشفت هذا الخلق الرفيع في مرحلة هي قبل مرحلة النبوة، بدأت عندما هاجر من الأرض التي هو فيها بعد قتل رجل وخوفه من القوم الذين يدبرون لقتله فخرج من مصر مطارداً خائفاً متوكلاً على الله طالباً منه النجاة ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ {القصص:21}، متطلعاً إلى هدى الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ {القصص:22}، قاطعاً بذلك طريقاً طويلة، وقد ألهمه الله عز وجل الذهاب لبلاد مدين، حتى يصل إلى المكان الآمن الذي لا يمتد إليه بطش الظالمين، وبعد الرفاهية والأمن الذي كان يعيشه يجد نفسه خائفاً مطارداً من فرعون وأتباعه، فلم يجلس عليه السلام بعد تعب السفر ليستريح، وقبل أن يأوي إلى الظل فقد شهد منظراً مخالفاً للمألوف فقد وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء؛ ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 274/5.

(2) انظر: (فتح القدير، للشوكاني، ص: 909. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، 51/4).

خَطْبُكُمَا... ﴾ {القصص:23}، والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة، أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولاً، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما[1].

مظاهر عفة النبي موسى عليه السلام:

يتضح ذلك من بداية تقدمه عليه السلام للمرأتين يسألهما، علة تأخرهما عن سقاية الغنم وذودهما للغنم عن الورود، حتى ذهابه لنبي الله شعيب عليه السلام ملبياً دعوته ليكافأه، وذلك بـ:

1. إيجازه في سؤال المرأتين بدون تفاصيل: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ "ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس؟"[2].
2. بعد علم موسى عليه السلام بسبب ذود المرأتين لغنمهما قام بسقاية الغنم لهما، ففي قوله تعالى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾، والفاء كما هو معلوم تفيد الترتيب والتعقيب، فبعد علمه بأمرهما قام بما يدل على عفته ومروءته بالمبادرة بالسقاية لهما رحمة بهما، وإغاثة لهما فور وصوله مدين، ورغم مشقة السفر التي لم يسترح منها بعد، ودون أن يطول الكلام معهن، ودون أن يسألهن في أمر السقاية لهما[3].

وفي ذلك مدعاة للشباب والشابات في كل عصر وأوان التخلق بأخلاق وآداب الإسلام التي أمرنا الله تعالى بالالتزام بها.

وكذلك علينا أن نبتعد عن كل مظهر من المظاهر التي تسبب في إثارة الفتن وإهاجة الشهوات من تبرج واختلاط وغيرها.

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 2685/5.
(2) الكشف والبيان، للثعلبي، 243/7.
(3) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 101/20

المطلب الثالث

دعوة النبي لوط عليه السلام قومه للعفة عن الفاحشة

إن أول دعوة لوط عليه السلام قومه هي توحيد الله عز وجل وترك الشرك وذلك أن لوطاً عليه السلام من جملة الرسل فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:36] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ {الأنبياء:25} ، تلك هي دعوة الرسل عليهم السلام جميعاً لأقوامهم، وكذلك دعا لوط عليه السلام قومه لترك الفاحشة مراراً فأنكر عليهم فعلهم فاحشة اللواط ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ﴾ {العنكبوت:28}، وقال تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ {الشعراء:161}.

-فاحشة قوم لوط عليه السلام:

قال عز وجل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۞وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ {الأعراف: 80-84}.

القوم الذين أرسل إليهم لوطاً عليه السلام هم أهل سدوم وعمورة، وكانوا يقطنون على شاطئ السديم وهو البحر الميت والسدوم بحر الملح، وفي دعوة نبي الله لوط عليه السلام قومه لعبادة الله وحده ككل الأنبياء فقد كان ينهاهم عن تلك الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، وهي فاحشة استمتاع الرجال بالرجال، واستفهام نبي الله لوط عليه السلام هنا إنكاري توبيخي، لأن من كان عاقلاً سوياً بفطرته يأبى فعل ذلك وينكره عقله ولا يشتهيها إلا من كانت نفسه غير سوية، ونرى أنه بعد إنكار النبي لوط عليه السلام على فعلهم هذا العمل القبيح المذموم وبخهم لاستحداثهم تلك الفاحشة ولم يفعلها أحد قبلهم، وهذا ما تفيده (مِنْ) الداخلة على (أَحَدٍ) لتوكيد نفي فعل أحد قبلهم لفاحشة اللواط[1].

---

(1) انظر: (التحرير والتنوير، لابن عاشور، 8-ب/230. تفسير الشعرواي، ص: 2945).

وقوله : " { من دون النساء } زيادة في التفظيع وقطع للعذر في فعل هذه الفاحشة ، وليس قيدا للإنكار، فليس إتيان الرجال مع إتيان النساء بأقل من الآخر فظاعة ، ولكن المراد أن إتيان الرجال كله واقع في حالة من حقها إتيان النساء" (1).

ووصِفوا بأنهم مسرفون وقوم عادون بقوله تعالى: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**﴾ [الشعراء:166] إذ إن الإسراف والاسترسال في شهواتهم وقد ملوا الشهوات المعتادة فقد تمكن الإسراف في الشهوات منهم، فاشتهوا شهوة غريبة بعيدة عن الفطرة السوية بتركهم المصرف الطبيعي لشهوتهم بالاستمتاع بالنساء الموافق للفطرة والشهوة التي أودعها الله تعالى في خلقه، وفي فعلهم هذا إسراف يجترئون فيه على حدود الله ﷻ ويتجاوزونها بفعل الفاحشة(2).

وكونها إسرافاً أيضاً لكونها شهوة توضع في غير محلها، فالشهوة الموضوعة في الإنسان لبقاء النوع والتناسل عندما توضع في غير محلها بذلك الفعل القبيح ففي ذلك الاعتداء على النوع الإنساني وتقليله، وامتهان للمفعول وقد أصبح وسيلة لقضاء شهوة غيره فيه، وما في ذلك من أضرار للفاعل والمعفول به.

-عرض لوط عليه السلام البديل الموافق للفطرة بدلاً من فعل الفاحشة.

ومع استمرار لوط في نصحه قومه لترك المعصية لله ﷻ، فإنه قد عرض عليهم ما هو موافق للفطرة التي خلقنا الله تعالى عليها كبشر، مُرغباً إياهم في الطهارة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۝ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝**﴾ [هود:**77-80**] .

بعد مجيء رسل الله لوط وقد كانوا بأجمل صورة حسان الوجوه، وعندما وردوا عليه ضاقت نفسه بذلك خشية أن ينالهم سوء من قومه وساءه مجيؤهم "**وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ**"، والعصيب مكروه مجتمع الشر، فما كان من زوجته إلا أن أخبرت قومها بمجيء الضيوف على زوجها لما

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 376/5.

(2) انظر:(التحرير والتنوير، لابن عاشور، 180/19. في ظلال القرآن، سيد قطب، 360/5).

رأت من جمال هيئتهم " **وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ**"، فجاءه القوم مسرعين عند ذلك، **وَمِنْ** "**قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ**" أي العادة التي كانوا يفعلونها من إتيان الرجال، فما كان من لوط إلا أن قام مدافعاً، "**قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**"، يقال أنه يعني بناته من صلبه وقيل أنه يقصد نساء قومه عامة، فعرض عليهم ما هو موافق للفطرة وأطهر وأحب إلى الله من قبح فعلهم، "**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي**"، أي اتقوا الله ولا تهينوني ولا تذلوني، "**أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ**" أي رجل رشيد حكيم صالح ينهاكم عن المنكر، لكن ردهم قبيح كفعلهم "**قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ**"، فليست بناتك هُن المقصد من مجيئنا، وفي قولهم، "**وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ**" إشارة إلى رغبتهم في الضيوف.

ولما رأى من استمرارهم في طغيانهم وما هو فيه من ضعف وعدم قدرة على دفعهم قال "لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ"، فلما رأى الملائكة ما بلوط عليه السلام من نصب وتعب بمدافعة قومه عرّفوا بأنفسهم "قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ" (1).

-رد فعل قوم لوط على استنكار لوط عليه السلام لفعلهم:

قال تعالى: ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾{النمل:56}، وقال تعالى: ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ {العنكبوت:29}.

قوم ضلت عقولهم عن الفطرة السوية، وكانوا مسرفين غارقين بشهواتهم فما كان جوابهم مقابل نصح نبيهم عليه السلام لهم إلا ما يُفصح عن رغبتهم الدنيئة باستمرارهم على المعصية دون التحول عنها لما أباحه الله تعالى، مطالبين بخروج لوط عليه السلامالذي يدعوهم للعفة والطهارة ومن كان على دينه من القرية، فجوابهم هذا ليس إلا أنهم قد أُفحموا بالدفاع عن فعلهم وصدروهم لا تحتمل الموعظة، فابتدروا التآمر على لوط عليه السلام ومن معه ، وعللوا سبب ذلك بكونهم يتنزهون ويترفعون عن إتيان الرجال في أدبارهم، فقد أصبحت في نظر قومه عيباً موجباً للخروج من القرية(2).

---

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 79/9. معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 190/4).

(2) انظر:(جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، 19 /481. التحرير والتنوير، لابن عاشور، 8-ب/234).

- علة تآمر قوم لوط على نبيهم ومن معه بالخروج من قريتهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ والتَّطَهُّر لغة: "هو التنزه عن الإثم وما لا يَجْمُل، نَزِهٌ من مداني الأخلاق"(1).

وقال ابن عاشور في معنى التطهر في هذه الآية بأنه: "تكلف الطهارة، وحقيقتها النظافة، وتطلق الطهارة- مجازاً- على تزكية النفس والحذر من الرذائل وهي المراد هنا، وتلك صفة كمال وتلك الصفة تجعلهم لا يستطيعون معايشة لوط -عليه السلام- ومن معه لدوامهم على الطهارة وقولهم التطهر بصيغة المبالغة إنما لذمهم، فطهارته عليه السلام ومن معه منافرة لطباعهم، فهذا الكمال ثقيل عليهم، لذا وصفوا تنزههم بصيغة التكلف والتصنع بالتطهر "(2).

-عقاب الله عز وجل لقوم لوط لفعلهم الفاحشة:

خلّص الله تعالى لوطاً وأهله العفيفين عن هذا الفعل من الهلاك، واستثنى امرأته التي كانت من الباقين المُهلَكين بالعذاب، وأمطر الله عليهم مطراً من سجيل(3).

لقد حلّ بقوم لوط من العذاب ما فيه عبرة للمعتبرين، وتخويف للمعتدين في الوقوع بتلك الفاحشة، قال تعالى: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف83-84]

فأنجاه الله تعالى هو وأهله فلم يؤمن معه سوى أهل بيته، وفي سورة الذاريات تأكيد على ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الذاريات:35 ، 36] ، عدا امرأته التي لم تؤمن به وإنما كانت مع قومها وتخبرهم بمجيء الضيوف لارتكاب الفاحشة بإشارات بينها وبينهم، فأمره الله بالخروج وأهله إلا امرأته "إلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ " قيل من الهالكين وقيل من الباقين أي باقية في البلد لم تخرج معهم، فكان عقابهم بأن أمطر الله عز وجل عليهم حجارة من سجيل قال تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**﴾ {الحجر:74} (4).

(1) لسان العرب، لابن منظور، 504/4، تاج العروس، ص: 3117

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور، 8-ب/235.

(3) انظر: (معالم التنزيل في تفسير القرآن، 256/3. تفسر الثعالبي، ص: 898).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 446/3).

المبحث الثاني
نماذج قرآنية للعفيفات من النساء

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عفة مريم ابنه عمران عليها السلام.

المطلب الثاني: عفة ابنتي شعيب عليه السلام

المطلب الثالث: عفة إماء عبد الله بن أبي بن سلول.

المطلب الأول

عفة السيدة مريم

مريم التي عرفت بالطهارة، سيدة نساء العالمين التي استحقت الثناء من رب العزة بقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:91] ، مريم التي وُهِبت وهي في بطن أمها لعبادة الله ﷻ، وهي التي رمى الرجال أقلامهم يتسابقون أيهم يكفلها، وقد نزلت فيها سورة تحكي قصتها إلى جانب الأنبياء عليهم السلام سميت السورة باسمها، مريم التي اصطفاها الله تعالى على نساء العالمين وأحاطها بالتكريم، بل واصطفاء من الله ﷻ لعائلتها من قبل ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ {آل عمران:33}.

-دعاء والدتها لها:

فقد نذرت والدتها ما في بطنها للخير قبل أن تولد، برسم الحياة التي سيحياها وليدها على طريق الخير والعبادة لله، ولم تعلم بعد إن كانت ذكراً أو أنثى، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران:35].

جعلت امرأة عمران ما في بطنها محرراً خالصاً لوجه الله تعالى، مفرغاً لعبادته ولخدمة الكنيسة، فلما وضعتها أنثى قالت: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:36] ، وقولها رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى فهي تتوجه بالاعتذار إلى الله وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وذلك في خدمة الكنيسة لما لعورتها وضعفها، "وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"،وهنا توجهت امرأة عمران بالدعاء لابنتها ولأولادها تجيرهم بالله من الشيطان الرجيم(1).

-إحاطة العناية الإلهية بها:

قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران:37]، وقد أجارها الله من الشيطان، ورضي الله بها مكان النذر عقب ولادتها، وأنبتها نباتاً

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 30/2.

حسناً في أخلاقها وبدنها وبما يصلح لها في جميع أمورها، فتنافس الأحبار حينها أيهم يكفل مريم فطفا قلم زكريا عليه السلام في النهر ورسبت أقلامهم فكفلها[1].

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:37]، وإن ما عاشته من تبتل وعبادة مستمرة من بداية دعاء والدتها، اصطفاء إلهي، وبيئة خصبة بالإيمان، ودعاء والدتها لها تعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم قبل أن تولد، كلها أجواء ومقومات حسنة كفيلة بإبعادها كفتاة عن أجواء الإنحراف، تبقيها نقية طاهرة، وكذلك فيه إعطاؤها قوة لما ستلاقيه وتهيئة، لحمل ثقل ما قضاه الله تعالى لها، وهو إنجابها عيسى عليه السلام بدون أب، بغير الطريقة التي عرفها البشر.

-قصة حمل السيدة مريم بعيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ {مريم:16-21}.

وفي انفراد مريم وعزلتها عن أهلها وقد اتخذت مكاناً شرقياً، وكذلك جعلت بينها وبينهم حجاباً "**فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا**"، أي ستراً ومانعاً لتتفرغ لعبادة الله والخضوع والتذلل له بعيدة عن مشاغل الدنيا، وإذ هي كذلك أرسل الله تعالى لها جبريل عليه السلام "**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**"، أي ظهر لها جبريل عليه السلام على هيئة رجل كامل لا عيب فيه حسن المظهر، وفي مكانها هذه بعيدة عن الأهل بينها وبينهم حجاب، خافت أن يكون رجلاً يطمع فيها قد اختبأ لمراودتها فكان من عفتها وكمال عصمتها المبادرة بالقول: "**إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**"، وهنا ما كان منها إلا أمرين، الأول: وهو أن تعتصم وتلتجئ بالله أن ينالها هذا الرجل الذي لا تعلم من هو بسوء، والثاني: أمرها ذاك الرجل بتقوى الله إن كان يريد التعرض لها بالرغم من عدم صدور سوء من فعل أو قول، فكان منها استخدام الترهيب من الله وطلب لزوم التقوى منه، وإنما

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 396/1.

هي على تلك الحالة إذ توفرت الدواعي فهي أبلغ في العفة، فكانت في مكانها بعيدة عن الأهل وحيدة وقد اتخذت ستراً عنهم، وقد ظهر لها الملك في صورة بشر سوي حسن المظهر وهي شابة(1).

تكلم القرآن الكريم عن قصة مريم لما نذرت أمها ما في بطنها محرراً لخدمة بيت المقدس وذلك في سورة آل عمران، **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ** من غاية عفافها، " **إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا** " تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فإني عائذة منك ، أو فتتعظ بتعويذي أو فلا تتعرض لي ، ويجوز أن يكون للمبالغة أي إن كنت تقياً متورعاً فإني أتعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك"(2).

فها هي مريم عليها السلام تصاب بهزات متكررة عندما تُفاجأ بذلك الرجل الغريب الذي قطع عليها خلوتها، فهي ترفض حتى مجرد الاختلاء بأي رجل مهما كانت مكانته.

ثم كانت الهزة الثانية عندما أخبرها أنه سيهب لها غلاماً، فقالت بكل شجاعة تدافع عن عرضها ﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾ {مريم:20} ، هكذا في صراحة، وبالألفاظ المكشوفة، فهي والرجل في خلوة، والغرض من مباغتته لها أصبح مكشوفاً، فهكذا موقف يحتاج إلى صراحة وقوة(3).

وهكذا المرأة المسلمة ترفض الاختلاء والاختلاط بالرجال إلا ضمن الحدود التي شرعها الإسلام.

مريم خير نساء العالمين التي أفرد الله لها بالقرآن سورة كاملة باسمها، أيضاً ذُكر اسمها في سور أخرى في القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:91]، في هذه الآية الكريمة يثني الله تعالى على مريم بقوله: "" **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ** " حفظت ومنعت " **فَرْجَهَا**" ممّا حرم الله سبحانه "**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا**" أي أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها ، وأضاف الروح إليه على معنى الملك والتشريف لمريم وعيسى بتخصيصها بالإضافة إليه"(4).

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص:571. التحرير والتنوير، لابن عاشور، 83/16).
(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، 9/4.
(3) انظر: إعجاز القرآن الكريم، د.فضل حسن عباس، سناء فضل عباس، ص:125-126.
(4) الكشف والبيان عن معاني القرآن، للثعلبي، 305/6.

وكان آخر ذكر لاسمها في القرآن الكريم في سورة التحريم بوصفها بالصديقة القانتة ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التَّحريم:12]، ضرب الله بها مثلا للذين آمنوا فأثنى عليها الله ﷻ حِفظها عن الفاحشة لنزاهتها وعفتها وطهارتها ووصفها بالصديقة القانتة، صديقة كاملة العلم والعلم، وقانتة مطيعة لخالقها بخشية وخشوع[(1)].

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص:1032.

المطلب الثاني
عفة ابنتي شعيب عليه السلام

ابنتا شعيب عليه السلام ضُرب بهما المثل في العفة والاستحياء، هي قصة علِمناها من كتاب الله في أربع آيات من سورة القصص مما كان من حكاية نبي الله موسى عليه السلام لدى وصوله ماء مدين، فأما مظاهر عفتهما فقد تمثلت في الآتي:

1. عدم مخالطتهما الرجال أثناء سقاية الأغنام:

قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾ [القصص:23]، "**قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ**"، وكلمة الرعاء جمع راعٍ مثل تاجر، لأنّا لا نطيق أن نسقي، ولا نستطيع أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض، ثم تذكران سبب خروجهما لسقاية الغنم "**وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**"، أي لا يقدر على مجالدة الرجال لسقاية الأغنام(1).

2. طريقة سير إحداهما في الطريق مشياً على استحياء:

قال تعالى: ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ {القصص:25}.

بعد أن سقى موسى عليه السلام لهما وذهبتا، حدثتا أباهما شعيباً عليه السلام بذلك، فأرسل إحدى ابنتيه تخبره بدعوة والدها له ليكافأه ويكرمه لحسن صنيعه، فجاءته إحداها " **تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ**" أي " أنها مستحيية في مشيها، أي تمشي غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة"(2).

---

(1) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 243/7.
(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 104/20.

3. إيجاز العبارة بقول إحداهما لنبي الله موسى عليه السلام:

وذلك بقولها: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:25]، فعندما رجعت إحداهما أوضحت بعبارة موجزة وفيها: بيان ما تريده بإسناد الأمر لأبيها، وعلة طلب أبيها له، وهو مكافأته على سقيه الغنم لابنتيه، وفي ذلك كمال العقل والعفة[1].

(1) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ص: 3259.

المطلب الثالث

عفة إماء عبد الله بن أبي سلول

قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:33] الآية نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، كانت له جاريتان: معاذة ومسيكة، وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية، يؤجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين، فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه، وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه، فأنزل الله هذه الآية. وروي أنه جاءت إحدى الجاريتين يوماً ببرد وجاءت الأخرى بدينار، فقال لهما: ارجعا فازنيا، قالتا: والله لا نفعل، قد جاء الإسلام وحرم الزنا، فأتيا رسول الله ﷺ وشكتا إليه، فأنزل هذه الآية.

وروي في صحيح مسلم في سبب نزول هذه الآية عَنْ أَبِى سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَىٍّ ابْنِ سَلُولَ يُقَالُ لَهَا مُسَيْكَةُ وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا أُمَيْمَةُ فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا عَلَى الزِّنَى فَشَكَتَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) إِلَى قَوْلِهِ (غَفُورٌ رَحِيمٌ)(1).

"وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ" "والبغاء مصدر: باغت الجارية، إذا تعاطت الزنى بالأجر حرفة لها، فالبغاء الزنى بأجرة. واشتقاق صيغة المفاعلة فيه للمبالغة والتكرير ولذلك لا يقال إلا: باغت الأمة" (2).

"إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا" في الآية نهي للمؤمنين عن إكراه إمائهم على الزنا، والإكراه يكون عند إرادة التحصن وهو التعفف ولا يتصور الإكراه إلا بهذه الحال، وإن لم ترد التحصن بغت طوعاً، ويجب على سيدها منعها من ذلك، وفي ذلك نهي لما كان شائعاً في الجاهلية من إجبار السيد أمته على الزنا طمعاً في الأجرة ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فمن غير المعقول أن تبتغي إماؤكم الخير برغبتهن بالتعفف عن الزنا، وأنتم تجبرونهن على الفاحشة رغبة في متاع الحياة الزائل(3).

---

(1) صحيح مسلم، كتاب التفسير ، باب ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء، ح(7738)، 244/8.

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 222/18.

(3) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، 412/3. تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، للسعدي، ص:664.

وفي ذلك قال بعض المتقولين زوراً وبهتاناً أن الإسلام يجيز للولي أن يسمح لأمته بالزنا ما دامت غير مكرهة عليه ﴿ .. وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وأن الله يغفر للسيد الذي يكره أمته على فعل الفاحشة بقوله ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ {النور:33}، يفسرون الآيات بما يناسب أهواءهم.

معاذة ومسيكة، جاريتان مملوكتان، أرادتا الالتزام بخلق العفة والبعد عن الفاحشة، فانتماؤهما لهذا الدين وخشيتهما من الله تعالى دفعهما ذلك إلى الالتزام بما نهى الله تعالى عنه، فلم يمنعهما قيد العبودية باستمرار الاستجابة لأمر مالكهما بفعل الفاحشة، بل اعترضن على ذلك حباً ورغبةً في الالتزام بتعاليم الإسلام، وعلى يقين بانصافهما والبت في أمرهما لجأتا لسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وشكتا له ذلك، فنزلت فيهن تلك الآية الكريمة.